

الأخلاق في القرآن فروع المسائل الأخلاقية

[216] واستقرار الإسلام في ربوع الحجاز والجزيرة العربية حيث أمر النبي الأكرم(صلى الله عليه وآله) الإمام علي(عليه السلام) بقراءة الآيات الأولى من سورة براءة لمراسم الحج أمام جميع الناس والإعلان للمشركين بأنّهم بقيت لهم فرصة أربعة أشهر فأمّا أن يتركوا الشرك ويدخلوا في الإسلام أو يمتنعوا من الدخول إلى المسجد الحرام، وبعد انقضاء الأشهر الأربعة عليهم فيما لو لم يتركوا الشرك وعبادة الأوثان أن يستعدوا لمواجهة المسلمين عسكرياً. ولكن مع هذا الحال فإنّ بعض المشركين كانت تربطهم بالمسلمين رابطة العهد والميثاق فأمراً أنّ تعالى أن يحفظوا لهم عهودهم إلى انتهاء مدّتهم، وهنا يتبيّن من خلال إستثناء هذه الطائفة إلى جانب ما ورد من التعبير الشديد في بداية سورة التوبة، يتبيّن من ذلك الأهمية الكبيرة التي يوليها الإسلام للوفاء بالعهد، ويتبيّن أيضاً ضمن هذا الاستثناء أنّهم عندما يلغي النبي الأكرم(صلى الله عليه وآله) عهده وميثاقه مع بعض الطوائف الأخرى فالسبب في ذلك أنّهم كانوا قد بدأوا نقض العهد أولاً، وإلاّ فلا دليل على اختلاف تعامل النبي الأكرم(صلى الله عليه وآله) معهم عن غيرهم. وفي ذلك اليوم كانت وظيفة الإمام علي(عليه السلام) هي أن يعلن للناس في مراسم الحج أربع مواضع: 1 - إلغاء العهود مع المشركين الذين سبق وأن نقضوا عهودهم مع المسلمين. 2 - منع المشركين من الاشتراك في مراسم الحج للسنة القادمة. 3 - منع ورود المشركين إلى بيت الله الحرام. 4 - منع الطواف في حالة التعرّض والتي كانت سائدة في ذلك الزمان. وعلى أية حال ونظراً إلى أنّ هذه الواقعة كانت بعد فتح مكّة وأنّ المسلمين كانوا قد سيطروا على تلك المنطقة سيطرة تامّة ولا تستطيع أي قدرة أن تقف في مقابلهم إلاّ أنّهم في نفس الوقت احترموا عهودهم مع طائفة من المشركين، وبذلك يتّضح أنّ مسألة الوفاء بالعهد لا تقبل المساومة تحت أية ظروف(1).

1. راجع تفصيل الكلام في الآية الأولى من سورة البراءة في ج9، من نفحات القرآن.